قبس من نور الأبوة

وصية تُضيء الدرب

تمكين TAMKEEN
KNO SCHOOLS EMPOWERING HUMANITY
360 ADVANCE THROUGH TECHNOLOGY KNO SMART SCHOOLING

قبس من نور الأبوة

وصية تُضيء الدرب

د. خميس بن عبيد العجمي

رئيس مجلس إدارة مجموعة تمكين الاستثمارية

رئيس مجلس أمناء سلسلة مدارس كينو الخاصة

بنيّ مهجة الفؤاد وقرّة العين،

أكتب إليك هذه الكلمات وقلبي يفيض بالحب والشفقة، وعيناي تدمعان شوقاً لصلاحك وفلاحك، فهذه ليست وصية عابرة، إنّما نبضات قلب أب عاش الدنيا وذاق حلوها ومرّها، وأدرك أنّ الحياة رحلة قصيرة نحو لقاء اللّٰه....

فاحفظ عنّي سبعاً وسبعاً....

سبعاً لتنير حياتك، وفيها خلاصة العمر وعصارة التجربة...

فأوّلها، زنْ دنياك بمقدار رحيلك منها، فالدّنيا دار ممرّ لا دار مقرّ، فلا تُثقل نفسك بما يُعيقك عن السعي، وخذ منها ما يُعينك على طاعة اللّٰه، ولا تجعلها أكبر همّك ولا مبلغ علمك، فالمسافر الحكيم لا يحمل إلاّ ما يحتاج، ويترك وراءه ما يُثقل كاهله....

وثانيها، اجعل للآخرة نصيباً يليق بخلودها، فهي دار البقاء الأبديّ، وتذكّر أنّ ما يزول في ساعة لا يستحقّ أنْ تقدّمه على ما يدوم إلى الأبد، وليكن عملك للآخرة بحجم رغبتك في نعيمها، واجعل كلّ يوم صفحة مشرقة في كتابك يوم الحساب...

وثالثها، اجعل عبادتك بمقدار افتقارك إلى ربك، فأنت المحتاج الفقير، وهو الغني القدير، فكلّ نَفَس تتنفّسه وكلّ نعمة تتقلّب فيها هي من فضله وكرمه، فلا تبخل عليه بالطاعة وأنت تسأله كلّ شيء، واعبده كما ينبغي لجلاله، واشكره بقدر إحسانه إليك...

ورابعها، قِس المعصية بما تستطيع احتمال عذابها، فإنْ أردت أنْ تعصي اللّٰه، فتذكّر النّار وسعيرها، وتصوّر نفسك واقفاً بين يديه يوم القيامة، فهل تستطيع تحمل غضبه؟ وهل تقوى على ساعة واحدة من عذابه؟ فإنْ كنت لا تطيق لسعة نار الدنيا، فتيقّظ، فإنّ نار جهنم قد أُوقد عليها ألف عام...

وخامسها، إنْ أردت المعصية فابحث عن موضع لا يراك فيه، وكن على يقين بأنّك لن تجد ذاك المكان، فهو معك أينما كنت، يراك في الظلمات والخلوات، ويعلم ما أسررت وما أعلنت، فهو العليم بذات الصدور، فكيف تستخفي من الناس ولا تستخفي من اللّٰه وهو معك، وهو الذي خلقك ورزقك؟ فاجعل مراقبة اللّٰه نصب عينيك، فهي أعظم رادع لك عن الزلل والضيّاع..

وسادسها، أنر قلبك بالقرآن، واجعله في جوفك، ولا تنظر له ككلمات تُتلى على اللسان، بل خذه نوراً يسكنك فيحييك، ويهديك بعد ضلال، واجعله رفيقك في خلواتك، ومؤنسك في وحدتك، وشفاءك حين تضيق بك الدنيا، واقرأه بتدبّر وخشوع، اقرأه وأنت تعلم أنّه كلام اللّٰه إليك، وتفكّر في آياته، واعمل بأحكامه، فإنّ القلب إذا خلا من القرآن أظلم واستوحش، وإذا امتلأ به استنار وانشرح، وأصبح صاحبه يرى بنور اللّٰه حيث يعمى الآخرون، فاحفظه في صدرك، واعمل بما فيه، ولا تجعله مهجوراً خلف الرفوف، يكن شفيعاً لك يوم القيامة..

وسابعها، إذا طلبت حاجة فاطلبها ممّن يطلبه الخلق أجمعون، ولا تُذلّ نفسك للعباد، ولا تمدّ يدك إلاّ إلى من بيده خزائن السموات والأرض، فالنّاس كلّهم فقراء إلى اللّٰه، ضعفاء بين يديه، فلماذا تسأل الفقير وتترك الغني؟ فهو الذي يخلق لك من العدم وجود، ومن الفناء جود، ويعطيك عطاء يذهلك بلا حدود، وإنْ منعك فقد منعك لحكمة بالغة، قد لاتعلمها الآن، فأحسن الظن بقضاء اللّٰه وقدره، وارضَ بما كتبه لك، فإنّ تدبيره لك خير من تدبيرك لنفسك، وما اختاره اللّٰه لك أعظم مما تختاره لها، فكم من محنة ظننتها نقمة فكانت نعمة، وكم من منع كان فيه عطاء، فسلّم الأمر لمن يعلم ما لا تعلم....

فلا تَسْأَلَنَّ بُنَيَّ آدَمَ حَاجَةً ... وَسَلِ الَّذِي أَبْوَابُه لا تُحْجَبُ

فاللّٰهُ يَغْضَبُ إِن تَرَكْتَ سُؤَالَهُ ... وَبُنَيَّ آدَمُ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

وسبعاً تمنح قلبك دفء النّبض ونقاء الروح...

فأوّلها، علاقتك باللّٰه، فاجعل صلاتك في وقتها فهي قرّة عينك وراحة قلبك، فهي صلتك بخالقك ومناجاتك لربك، فلا تكن من الذين يصلّون وقلوبهم غافلة، ويجعلون صلاتهم عادة لا عبادة، وعِش الصلاة بخشوع

وحضور قلب، فإنّما تناجي ملك الملوك، وأكثر من الاستغفار في كلّ وقت وحين، فما من عبد إلاّ وهو مذنب، واللّٰه يحبّ التوّابين ويحبّ المتطهّرين، واجعل لسانك رطباً بذكر اللّٰه، فالذكّر جلاء القلوب وطمأنينة النفوس، ولا تترك الدعاء أبداً، في السّراء والضّراء، في الرّخاء والشّدة، وادعُ اللّٰه وأنت موقن بالإجابة، واسأله من فضله ولا تستحقرنّ شيئاً من الدعاء، فإنّ اللّٰه قريب مجيب، واعلم أنّ الإيمان يزيد وينقص، فجدّد إيمانك بالطاعات، وحاسب نفسك قبل أنْ تُحاسب، وزن أعمالك قبل أنْ تُوزن عليك...

وثانيها، تربية نفسك وبناء شخصيتك، فطلب العلم سلاحك الذي تواجه به الجهل والظلام، ولا تقتصر في طلبه على علم الدنيا وتترك علم الدين، ولا تأخذ علم الدين وتهمل علم الدنيا، بل اجمع بينهما فكلاهما مطلوب، واجعل طلب العلم عبادة تتقرّب بها إلى اللّٰه، وربِّ نفسك على الصّبر والمثابرة، فالنجاح لا يأتي بالأماني إنّما بالجدّ والعمل، وإذا بدأت عملاً فأتمّه، ولا تكن من الذين يبدؤون ولا يكملون، وتعلّم أنْ تضبط نفسك عند الغضب، وأنْ تتحكم في شهواتك، وأنْ تروّض إرادتك على فعل الخير ولو شقّ عليك، ولا تيأس إذا أخفقت، فالفشل ليس نهاية الطريق بل بداية النجاح، وكلّ عظيم في هذه الدنيا قد تعثّر مرّات قبل أنْ ينهض، فانهض من كبوتك وتعلّم من أخطائك ولا تكرّرها، واعلم أنّ الابتلاء سُنّة اللّٰه في خلقه، وأنّ اللّٰه لا يبتلي عبداً إلاّ وهو يحبّه ويريد أنْ يرفع درجته، فاصبر على البلاء ولا تجزع، ولا تسخط على قدر اللّٰه، بل ارضَ واحتسب الأجر عند اللّٰه....

واحذر من تصاحب، فالصّاحب يسحبك إمّا لجنة أو لنار، واختر أصدقاءك من أهل الخير والصلاح، الذين يعينونك على طاعة اللّٰه ويذكّرونك إذا نسيت، ويُسدّدونك إذا اعوججت، فالمرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل، وكن مسؤولاً عن أفعالك وأقوالك، ولا تلقِ اللوم على الآخرين، وتعلّم أنْ تعتذر إذا أخطأت، وأنْ تعترف بخطئك دون كبر أو عناد، واحمل هموم أهلك ومجتمعك، وكن عضواً نافعاً فيهم، ولا تكن عالة على غيرك، ولا تخشّ في قول الحقّ لومة لائم...

وثالثها، علاقتك بالناس، فمع والديك، البرّ الموصول، فهما باب الجنّة، فأحسن إليهما ما استطعت، ولا تقل لهما أفّ ولا تنهرهما، بل كلّمهما بلين ورفق واخفض لهما جناح الذلّ من الرحمة، وأطعهما في المعروف، وأرضهما ولو بشقّ الأنفس، فرضاهما من رضا اللّٰه وسخطهما من سخط اللّٰه، ولا تنتظر حتّى يموتا لتندم على تقصيرك، بل أكرمهما في حياتهما وبعد مماتهما بالدعاء والصدقة عنهما...

وصل رحمك ولو قطعوك، وأعطهم ولو منعوك، واعفُ عنهم ولو ظلموك، فصلة الرحم من أعظم أسباب البركة في العمر والرزق، وقطيعتها من أعظم الذنوب، وأحسن إلى جارك، فحقّ الجار عظيم عند اللّٰه، ولا تؤذه بقول أو فعل، بل كن عوناً له في حاجته، وسنداً له في شدته. تفقد أحواله، واعلم أنّ الجار له حقّ حتّى لو كان مختلفاً معك في الدين، فالإحسان إلى الجار من مكارم الأخلاق...

ولا تحتقر فقيراً ولا تزدرِ مسكيناً، فاللّٰه هو الذي رزقك وحرمه، وقد يبدّل الأحوال في طرفة عين، فأحسن إليهم، وتصدّق عليهم، واقضِ حوائجهم، وأكرمهم ولا تُشعرهم بالمهانة، واعلم أنّ الصدقة لا تنقص المال، بل تزيده بركة، وأنّ اللّٰه في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، وكن نافعاً لمجتمعك، خادماً لأمتك، فساهم في إصلاح ما فسد، وفي بناء ما انهدم، وفي نشر الخير والعلم، وشارك في الأعمال الخيرية، وساعد المحتاجين، وانصر المظلوم، ولا تسكت عن المنكر بل أنكره بالحكمة والموعظة الحسنة، وكن رحيمًا بصغارهم، موقّراً لكبارهم، هيناً ليناً..

ورابعها، في القيم والأخلاق، الزم الصّدق واجعله شعارك في كلّ حال، فالصدق منجاة والكذب مهلكة، ولا تكذب ولو مازحاً، ولا تخدع ولو في معاملة تجارية، واعلم أنّ الصدق يهدي إلى البرّ، والبرّ يهدي إلى الجنة، وكن أميناً على ما استُؤمنت عليه، سواء أكان مالاً أو سراً أو عملاً، وأدِّ الأمانة إلى أهلها حتى لو كانوا ظالمين، فالأمانة حقّ لا يسقط بظلم صاحبها، واحذر الخيانة، فإنّ اللّٰه لا يحبّ الخائنين، والخائن يُفضح في الدنيا قبل الآخرة...

وتواضع ولا تتكبّر على أحد مهما بلغت من المنزلة والجاه، فالكبر من صفات إبليس، واللّٰه لا يحبّ المستكبرين، ولا تنظر لأحد بعين الاحتقار، فقد يكون المسكين الذي تحتقره أعظم عند اللّٰه منك، وامتلك زمام نفسك عند الغضب، ولا تكن سريع الانفعال، وكن رفيقاً في أمورك كلّها، فما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نُزع من شيء إلاّ شانه...

وكن عادلاً منصفاً حتّى مع من تكره، فالعدل أساس الملك، والظلم مؤذن بخراب الديار، ولا تظلم أحداً ولو بكلمة، فدعوة المظلوم ليس بينها وبين اللّٰه حجاب، وإنْ ظُلمت فاصبر واحتسب، ولا تظلم من ظلمك، بل اعفُ واصفح إنْ استطعت، فهو من باب الكرم، واجعل كرمك يصيب مالك وجاهك ووقتك، ولا تبخل على نفسك ولا على غيرك، فالبخيل محروم من خير الدنيا والآخرة، وإذا أعطيت فأعطِ بسخاء، ولا تمنن على أحد بما أعطيته...

وخامسها، في ولائك لوطنك، فاجعل الانتماء لوطنك عقيدة في قلبك، فالوطن هو الحضن الذي احتواك، والتراب الذي شهد خطواتك الأولى، وسيضمّ رفاتك الأخير، فكن مستعداً للدّفاع عنه بكلّ ما تملك، فإنّ حماية الوطن شرف يتوارثه الأحرار، وواجب لا يتخلّى عنه إلا الجبناء، فإذا دُعيت لحمايته فلبِّ النّداء بقلب ثابت ويقين راسخ....

وسادسها، في عملك ومعاشك، فكن جاداً في عملك، متقناً لصنعتك، فإنّ اللّٰه يحبّ إذا عمل أحدكم عملاً أنْ يتقنه، واكتسب من الحلال ولو كان قليلاً، ولا تمدّ يدك إلى الحرام مهما كثر، واعلم أنّ البركة في الحلال، وأنّ الحرام يمحق المال ولو كثر، ولا تكن كسولاً متواكلاً، بل اعمل بجدّ واجتهاد، وتوكّل على اللّٰه، فالتوكّل لا يعني ترك الأسباب، بل الأخذ بالأسباب مع التوكّل على مسبّب الأسباب...

وسابعها، منّي لك، ومنك لأولادك من بعدي، فلو أنّني يا بُني، أملك الدنيا بأسرها لجعلتها كلّها تحت قدميك، لكنّني أملك ما هو خير من ذلك، وهو دعاء لك في ظهر الغيب، فإنّي - يا مهجة الروح - أسال اللّٰه العظيم ربّ العرش الكريم أنْ يحفظك من كلّ سوء ومكروه في دينك ودنياك وآخرتك، ويجعلك من أوليائه الصالحين وحزبه المفلحين، ويرزقك علماً نافعاً وعملاً صالحاً متقبلاً، ويُقرّ عيني بك في الدنيا والآخرة، ويجمعني بك في جنات النعيم تحت ظلّ عرش الرحمن، ويجعلك من أهل القرآن الذين هم أهل اللّٰه وخاصته، ويرزقك الزوجة الصالحة والذرية المباركة التي تقرّ بها العين، ويُثبّت قدميك على الصراط المستقيم في الدنيا وعلى الصراط يوم القيامة، ويجعلك سبباً في هداية خلقه ونفع عباده، ويختم لك بالصالحات ويجعل خير أيامك يوم لقائه..

ولك همسة أخيرة ولدي الحبيب،

إذا أظلمت بك السُّبل، وضاقت بك الدنيا، وأحاطت بك الهموم، فارفع يديك إلى السماء واصرخ: يا اللّٰه، فهو أقرب إليك من حبل الوريد، وهو السميع المجيب، وإذا نسيت كلّ ما كتبته لك في هذه الوصية، فلا تنسَ هذه الثلاث؛ اللّٰه يراك، فاستحِ منه، والموت حقّ، فاستعدّ له، والدّار الآخرة خير وأبق، فاعمل لها..

وتذكّر،

هذه الوصية ليست قيداً يُثقل كاهلك، بل هي نور يضيء لك الطريق، ومصباح تهتدي به في ظلمات الحياة، فخذ منها ما يناسبك، واعمل بها قدر استطاعتك، ولا تُحمِّل نفسك فوق طاقتها، فالدين يُسر لا عسر..

أسأله تعالى أنْ يبارك فيك وينفع بك، وأنْ يجعلك من الصالحين الذين يُذكَرون بالخير في الدنيا ويُرفع ذكرهم في الآخرة...

اللهمّ أصلح لنا ذريّتنا واجعلهم قرّة أعين لنا واجعلنا للمتّقين إماماً....

والدك المشفق

الرّاجي لك الخير في الدارين

الدّاعي لك بظهر الغيب